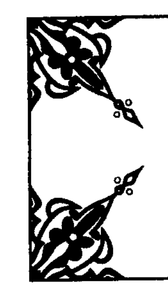


النحو قبل أبي الأسود الدؤلي



الدكتور: غانم قدوري الحمد

مقدمة:

يُعَدُّ أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) مؤسس النحو العربي، لكن الغموض يكتنف حقيقة العمل الذي قام به، ومن ثَمَّ تشكك عدد من الباحثين المحدثين في نسبة وضع النحو إليه، وعد بعضهم ذلك حديث خُرافة، وحصر بعضهم دور أبي الأسود في نقط المصحف بالنقاط الحمراء الدالة على الحركات.

وقد ناقش مؤرخو النحو العربي هذه القضية، واستقصوا ما يتعلق بها، وأثبتوا أن لأبي الأسود الدؤلي دوراً في نشأة النحو العربي، يتراوح بين وضع عدد من أبواب النحو، ونقّط المصاحف بنقاط الحركات. وقد وقفت على عدد من الروايات في المصادر القديمة، توضح جانباً من الموضوع، وتعطي تصوراً جديداً لنشأة النحو العربي، لم يطلع عليها الباحثون، مما جعلني أعرض الموضوع من جديد، محاولاً تبديد الغموض الذي يحيط بنشأة النحو العربي، وإعطاء تصور واضح عن بدء النشاط اللغوي العربي المنظم، ودور أبي الأسود فيه وعلاقته به.

المبحث الأول: نشأة النحو العربي في الدراسات العربية القديمة والمعاصرة:

أدرك مؤرخو النحو العربي الأوائل أن نشأته مرتبطة بظهور اللحن على ألسنة الناطقين بالعربية، بعد نزول القرآن وانتشار الإسلام[1]، ويؤيد الباحثون المحدثون ذلك، يقول

(١) الحلبي، مراتب النحويين: (ص٢٣)، والزبيدي، ((طبقات النحويين واللغويين)): (ص١١).

الأستاذ سعيد الأفغاني: «يعتبر اللحن الباعث الأول على تدوين اللغة وجمعها، وعلى استنباط قواعد النحو وتصنيفها».[1]

ومع اتفاق الباحثين على سبب نشأة النحو العربي نجدهم مختلفين حول تحديد البادئ بوضع أسسه، وحول تحديد طبيعة الملاحظات الأولى التي تعد اللبنة الأولى في بنياته. ويمكن أن نعرض وجهات نظرهم بتقسيمها على قسمين: الأول: يمثل رأي العلماء الأوائل، والثاني: يمثل رأي الباحثين المحدثين.

أولاً: رأي العلماء الأوائل في نشأة النحو العربي:

قال السيرافي: «اختلف الناس في أول من رسم النحو... وأكثر الناس على أبي الأسود الدؤلي»[2]، وما ورد في المصادر القديمة يؤيد ماذكره السيرافي، وأقدم ما اطلعت عليه من النصوص التي تنسب وضع النحو إلى أبي الأسود الدؤلي قول محدّث البصرة في زمانه قتادة ابن دعامة (ت ١١٧هـ) الذي رواه الحلبي[3]، وقول قارئ أهل الكوفة المشهور عاصم بن أبي النجود (ت ١٢٨هـ): «أول من وضع العربية أبوالأسود الدؤلي».[4]

وقال محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ): «وكان لأهل البصرة في العربية قدْمة، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية، وكان أول من أسس العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي، وهو: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، وكان رجل أهل البصرة.... وإنما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب فغلبت السليقة، فكان سَرَاة الناس يلحنون، فوضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والجزم...، وكان ممن أخذ ذلك عنه يحيى بن يعمر...، وأخذ ذلك أيضاً ميمون

---

(١) من تاريخ النحو: (ص٨)، وينظر، يوهان فك «العربية» : (ص٢١)، وعبد الحميد السيد طلب «تاريخ النحو وأصوله»: (١/١٥).

(٢) أخبار النحويين البصريين: (ص١٣).

(٣) مراتب النحويين: (ص ٢٢).

(٤) الزبيدي، «طبقات النحويين واللغويين»: (ص ٢٢).

الأقرن، وعنبة الفيل، ونصر بن عاصم الليثي وغيرهم».[1]

وهذا رأي عامة المؤرخين الأوائل للنحو العربي: «فأما زعم من زعم أن أول من وضع النحو عبد الرحمن بن هرمز بن الأعرج، أو نصر بن عاصم، فليس بصحيح؛ لأن عبد الرحمن أخذ عن أبي الأسود ، وكذلك أيضاً نصر بن عاصم أخذ عن أبي الأسود الدؤلي».[2]

وجاء في رواية قديمة نقلها الزَبيدي عن المبرد (ت ٢٨٢ هـ) أنه قال: «سئل ابوالأسود الدؤلي عمن فتح له الطريق إلى الوضع في النحو وأرشده إليه؟ فقال: تلقيته من علي بن أبي طالب ﷺ وفي حديث آخر قال: ألقى إليَّ عليٌّ أصولاً احتذيت عليها»[3]. ومن ثم فإن بعض المؤرخين ذهب إلى أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، لأنه هو الذي وجه أبا الأسود الدؤلي وأرشده إليه.[4]

وقد اختلفت المصادر في السبب الذي دعا أبا الأسود الدؤلي إلى وضع النحو، ولكنها تتفق على أن كل ذلك يرجع إلى وقوع اللحن في ألسنة الناطقين بالعربية، مما حمله على نقط المصحف بالنقاط الحمراء الدالة على الحركات، وتأليف شيء من أبواب النحو.[5]

أما مقدار ما وضعه أبو الأسود الدؤلي من أبواب النحو فان المصادر القديمة تشير إلى ضآلته، حتى تعمق النظر بعد ذلك وطوّلوا الأبواب[6]. وجاء في بعض المصادر انه وضع باب الفاعل والمفعول[7]، وفي بعضها أنه وضع باب الفاعل والمفعول، والمضاف، وحروف الجر، والرفع، والنصب، والجزم[8]. وتنسب رواية متأخرة تقسيمات وتعريفات إلى أبي الأسود

---

(١) طبقات الشعراء: (ص٥).

(٢) أبو البركات الأنباري، ((نزهة الألباء)): (ص٢١).

(٣) طبقات النحويين واللغويين: (ص ٢١).

(٤) أبو البركات الأنباري، ((نزهة الألباء)): (ص٢١)، والقفطي، ((إنباه الرواة)): (٤/١).

(٥) يمكن مراجعة تفصيل ذلك في الكتب التي أرخت للنحو العربي.

(٦) الحلبي، ((مراتب النحويين)): (ص ٢٦).

(٧) السيرافي، ((أخبار النحويين البصريين)): (ص ١٨).

(٨) الجمحي، ((طبقات الشعراء)): (ص٥).

الدؤلي مما ألقاه إليه عليّ بن أبي طالب[1]. لاتناسب طبيعة تلك المرحلة، ولا أسلوب ذلك العصر، مما جعل بعض الباحثين يتشكك في صحتها[2]. ووصفها بأنها حديث خرافة[3]. ولكن ذلك لا ينفي ما بينهما من علاقة ربما أفادت الدؤلي في الموضوع.

ثانياً: رأي الباحثين في نشأة النحو العربي:

صرح عدد من الباحثين المحدثين بغموض نشأة النحو العربي، فقال برو كلمان: «يبدو أن أوائل علم اللغة العربية سيبقى دائماً محوطة بالغموض والظلام»، وهو يعد ما ينسب إلى أبي الأسود الدؤلي وتلامذته من قبيل الأساطير»[4]. وقال أحمد أمين: «وتاريخ النحو في منشأه غامض كل الغموض....»[5]. وقال عون: «لا يزال الباحث في حيرة من أمر النحو العربي، ومن الظروف التي لابست نشأته»[6].

ويذهب أكثر الباحثين في تاريخ النحو العربي من المحدثين إلى أن أبا الأسود هو الذي أرسى اللبنة الأولى في التاريخ، ولكن معظمهم يفسر تلك اللبنة باختراعه علامات الحركات بالنقاط الحمراء التي استخدمها في ضبط المصحف[7]. حتى صرح أحدهم: بأن «الحقيقة العلمية الوحيدة التي يمكن الركون إليها في المرحلة الأولى لنشأة النحو العربي، حقيقة كون الدؤلي واضع نقط الإعراب، الذي اعتُبر على أساسه الواضع الأول للنحو»[8].

وظهر من بين الباحثين المعاصرين من أكد على أن أبا الأسود الدؤلي قد دون شيئاً في

---

(١) أبو البركات الأنباري، «نزهة الألباء»: (ص٢١)، والقفطي، «إنباه الرواه»: (٤/١).

(٢) سعيد الأفغاني، «من تاريخ النحو»: (ص٢٩)، هامش.

(٣) أحمد أمين، «ضحى الإسلام»: (٢٨٥/٢).

(٤) تاريخ الأدب العربي: (١٢٣/٢ و ١٢٨).

(٥) ضحى الإسلام: (٢٨٥/٢).

(٦) اللغة والنحو: (ص١٩٨).

(٧) أحمد أمين، «ضحى الإسلام»: (٢٨٦/٢)، وحسن عون، «اللغة والنحو»: (ص٢٤٥)، وشوقي ضيف، «المدارس النحوية»: (ص ١٦)، وعبد الحميد السيد طلب، «تاريخ النحو وأصوله»: (٣٢/١).

(٨) عفيف دمشقية، «تجديد النحو العربي»: (ص١٠١).

القواعد النحوية إلى جانب نقط المصحف، لأن من يضع علامات لحركات الإعراب في المصحف كله لابد أن تتكون لديه فكرة أولية عن السياقات والتراكيب التي تؤدي إلى تغير حركات أواخر الكلمات، وهو أمر مرتبط مباشرة بالقواعد النحوية».[1]

وما ورد في بعض المصادر القديمة يؤيد وجهة النظر هذه، فقد نقل أبو بكر الأنباري الرواية الخاصة بنقط المصحف، وجاء في آخرها: «فابتدأ بالمصحف حتى أتى آخره، ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك».[2]

وكان ابن قتيبة قد قال: «إن أبا الأسود هو أول من عمل في النحو كتاباً».[3]

وذكر ابن النديم أنه رأى أربع ورقات قديمة ترجمتها: «هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول، من أبي الأسود، رحمة الله عليه، بخط يحيى بن يعمر...».[4]

وبلغت جهود الباحثين في تاريخ النحو العربي غايتها عند ظهور كتابين يبحثان في نشأة النحو العربي وتطوره حتى عصر سيبويه، وهما:

الكتاب الأول: «الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي»، تأليف الدكتور عبد العال سالم مكرم[5]، الذي قال في مقدمته: «وقد شعرت منذ أن اشتغلت بالنحو العربي، بأن هناك مرحلة مفقودة في تاريخ النحو العربي تمتد من عصر أبي الأسود إلى عصر الخليل وسيبويه»[6]. وقد ركز الكتاب على بيان تاريخ النحو وتطوره في هذه المرحلة.

وخلاصة رأي المؤلف في موضوعنا هي: «أن قضية نشأة النحو مرتبطة بالمعارف السابقة

---

(١) سعيد الأفغاني، «من تاريخ النحو»: (ص ٢٧-٢٩)، وعبد الرحمن السيد، «مدرسة البصرة النحوية»: (ص ٤١-٦٠).

(٢) إيضاح الوقف: (١/٤١).

(٣) الشعر والشعراء: (ص ٧٢٩).

(٤) الفهرست : (ص ٤٦).

(٥) ظهرت طبعته الأولى في الكويت سنة (١٩٧٧م) في (٤١٨) صفحة.

(٦) الحلقة المفقودة: (ص ٣).

للعرب في الجاهلية وفي العصر الإسلامي، وبخاصة في مجالي القراءة والكتابة»[1]. وهو يرى لذلك: «أن أبا الأسود حلقة في سلسلة المعرفة اللغوية....، ولكنه برز في مجالها، وزاد نشاطه في حقلها، فنسبت إليه نشأة أضخم علم شغل الناس قرونا طويلة، ومازال يشغلهم إلى وقتنا الحاضر».[2]

الكتاب الثاني: «المفصل في تاريخ النحو العربي» (الجزء الأول: قبل سيبويه): تأليف الدكتور محمد خير الحلواني[3]، الذي قال في مقدمته: «وقد عنيت في هذا الجزء بالكشف عن نمو النحو في المرحلة الغامضة مرحلة أبي الأسود وتلامذته، وهي مرحلة وقف حيالها الباحثون في الشرق والغرب شاكين حائرين، ونعتوها بأنها مرحلة مظلمة في تاريخ النحو العربي لا يمكن أن يبلغها البحث العلمي».[4]

ويلخص المؤلف رأيه في نشأة النحو العربي بقوله: «والحق أن نشأة النحو ترتبط بجذور الحياة الإسلامية في ذلك الزمن، وترتد إلى ما ترتد إليه نشأة العلوم الأخرى من لغوية ودينية وفلسفية، وكان القرآن الكريم محور هذه الجذور، وهو الركيزة الأساسية فيها. إذن فإن نشأة العربية -بمعناها الاصطلاحي- انطلقت من قراءة القرآن»[5]. وهو ما يقرر أن أبا الأسود الدؤلي نقط المصحف، ووضع أسس النحو العربي، لكنه ينفي أن يكون قد ألف كتاباً في النحو، بل كان يعلم النحو.[6]

إن ما انتهى إليه الباحثون المحدثون في نشأة النحو العربي لم يخرج عما قرره المؤرخون الأوائل، وهو يتلخص في أن أبا الأسود الدؤلي اخترع علامات الحركات ونقط بها

---

(١) المصدر نفسه: (ص١١).

(٢) المصدر نفسه: (ص ١٦).

(٣) ظهرت طبعته الأولى في بيروت سنة (١٩٧٩م) في (٣١٢) صفحة.

(٤) المفصل: (ص٦).

(٥) المفصل: (ص١٧).

(٦) المفصل: (ص ١١٠).

المصحف، وهم بعد ذلك مختلفون حول أول تدوين لقواعد النحو هل تم على يد أبي الأسود أو على يد تلامذته من بعده؟ ولم تبدد دراسات المحدثين ذلك الغموض الذي يكتنف نشأة النحو العربي إلا قليلاً.

وسوف يحاول هذا البحث التركيز على الحقبة التي تسبق ظهور جهود أبي الأسود وتلامذته، فإن عدداً من الروايات والوقائع تشير إلى وجود معارف ونشاطات لغوية يمكن أن تكشف عن حقائق غفل عنها مؤرخو النحو العربي حتى الآن.

المبحث الثاني: النشاط اللغوي قبل أبي الأسود الدؤلي:

إن التغيير الشامل الذي أحدثه الإسلام في حياة العرب كان قد اقتضى قيام نشاط لغوي كبير، منذ اليوم الأول الذي أنزل الله تعالى فيه قوله: ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق...﴾[سورة العلق/١]، وتصاعد مع اتساع الدعوة وانتشار الإسلام، حتى انتهى ذلك بتدوين قواعد اللغة العربية وجمع نصوصها. ويهمنا هنا الوقوف على ذلك النشاط في الحقبة التي سبقت بروز أبي الأسود في البصرة في خلافة علي ﷺ، وتمتد من زمن البعثة النبوية المباركة، وتستغرق معظم سنوات الخلافة الراشدة.

وتشير الروايات التي نقلتها المصادر التاريخية إلى أن هذه الحقبة شهدت نشاطاً لغوياً متنوعاً كان يستجيب؛ لحاجات تلك المرحلة اللغوية، المتمثلة بتعليم قراءة القرآن، وتعليم الكتابة، وتدوين المصاحف، وتعليم العربية ومكافحة اللحن. وقد تم ذلك من خلال ملاحظات، وأقوال صدرت من عدد من أولي الأمر والعلماء، بصورة شفهية غالباً، وعلى نحو غير منظم في كثير من الأحيان، ولكنها كانت الخطوات الأولى في علم العربية التي مهدت الطريق لما قام به أبو الأسود وتلامذته من تنقيط المصاحف، وتدوين شيء من أبواب النحو.

ويمكن أن نتتبع ذلك النشاط عبر مرحلتين، الأولى: تمثل عصر النبوة، **والثانية: تمثل** عصر الخلافة الراشدة، وسوف نفرد فقرة خاصة بالرواية التي رواها الصحابي بريدة بن الحصيب الأسلمي ﷺ حول الأمر بتعلم العربية في تلك الحقبة.

أولاً: النشاط اللغوي في عصر النبوة:

إن هدف النبوات والرسالات هو تعليم الناس ، وقد قال الله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة....﴾[سورة الجمعة/٢]، وقال رسول الله ﷺ : (إنما بعثت معلماً)[١] ، ولا شك في أن تعليم اللغة وقواعدها ليس جزءاً مما يهتم الأنبياء بتعليمه للناس، ولكن ارتباط دعوتهم بلغات أقوامهم كان سبباً في نشاط لغوي كبير، وكانت آثار هذا العامل واضحة على اللغة العربية ، إذ أن العلماء يقررون أن ارتباط العربية بالقرآن الكريم كان السبب الأول؛ لانتشارها وبقائها حية إلى زماننا ، كما كان السبب لنشأة الدراسات حولها ، حتى قال أحدهم: ((لولا القرآن ما كانت عربية)).[٢]

وكان النشاط اللغوي في عصر النبوة يتركز في أمرين:

الأول: قراءة القرآن الكريم وتعليمها ، فقد أولى رسول الله ﷺ عناية كبيرة بهذا الجانب، وكان إذا دخل رجل في الإسلام دفعه إلى الصحابة ، وقال لهم: (فقّهوا أخاكم في دينه ، واقرئوه وعلموه القرآن)[٣] . وحرص ﷺ على إرسال المعلمين إلى المدن والقرى التي دخل أهلها في الإسلام، وكان يحث الصحابة على تعلم القرآن وتعليمه ومداومة قراءته ، وتعاهد حفظه.[٤]

الثاني: الكتابة العربية وتدوين القرآن، فيجد الدارس أن النبي ﷺ اهتم بأمر الكتابة ، وحث الصحابة على تعلمها ، واتخذ منهم كُتّاباً جاوزوا الأربعين[٥] . وأمر بكتابة ما ينزل عليه من القرآن، مع قلة وسائل الكتابة ، وصعوبة استعمالها ، حتى كتب القرآن كله ،

---

(١) سنن ابن ماجة: (١/٨٣).

(٢) رمضان عبد التواب، ((فصول في فقه العربية)): (ص ٩٠).

(٣) الطبري، ((تاريخ الرسل والملوك)): (٢/٤٨٤).

(٤) ابن سعد، ((تاريخ الرسل)): (٢/٣٤٨)، (٣/٥٨٥)، (٤/١٠٨).

(٥) نصر الهوريني، ((المطالع النصرية)): (ص ١٣).

لكنه لم يجمع في مصحف واحد إلى خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.[1]

وقد تتساءل وتقول: ما علاقة هذا كله بنشأة النحو العربي؟ وأقول: إن قراءة القرآن وكتابته هما أول عمل لغوي منظم يعتنى به في تاريخ العربية، فقد اجتمع العرب على اختلاف مواطنهم ولهجاتهم حول القرآن، يتعلمون قراءته ويتفهمون معانيه، وقد أظهرت عملية التعلم الواسعة هذه ملاحظات لغوية تتعلق بالشكل اللغوي الذي يجب أن يحتذى، ونقل المؤرخون عن الصحابي أبي الدرداء: أن النبي ﷺ سمع رجلاً قرأ فلحن، فقال: (أرشدوا أخاكم)[2]. وان عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (رحم الله امرءاً أصلح من لسانه)[3]. فمثل هذه الملاحظات، إلى جانب الحرص الدائم على تعلم القرآن وتعليمه وكتابته؛ قد اوجدت حالة لغوية جديدة لفتت أنظار الخلفاء الراشدين وعلماء الصحابة، فأولوها عناية كبيرة، على نحو ما نذكر في الفقرة الآتية.

ثانياً: النشاط اللغوي في عصر الخلافة الراشدة:

إن مظاهر النشاط اللغوي في عصر النبوة استمرت في عصر الخلافة الراشدة، وازدادت اتساعاً وعمقاً، بسبب الحاجة إليها، وازدياد حالات القصور في الأداء اللغوي التي يشار إليها بالمصادر القديمة بمصطلح (اللحن)، ويمكن أن نقسم مظاهر ذلك النشاط على الوجوه الآتية:

١- تعليم القراءة وإرسال المعلمين:

سن رسول الله ﷺ تعليم قراءة القرآن الكريم، وأرسل المعلمين إلى مكان الحاجة إليهم، وكان قوله: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[4]، يزكي روح الحماسة في نفوس

---

(١) الطبري، ((جامع البيان)): (٢٨/١)، وابن حجر، ((فتح الباري)): (١٢/٩).

(٢) العطار، ((التمهيد)): (٩٤) ظ.

(٣) أبو بكر الأنباري، ((الأضداد)): (ص ٢٢٤)، والأندرابي، ((الإيضاح)): (٦٢).

(٤) البخاري، ((الجامع الصحيح)): (٢٣٦/٦).

المعلمين والمتعلمين. وأكبر مجهود بذل في هذا المجال كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي جعل من ولاة الأمصار معلمين للناس، فقال في إحدى خطبه: ((اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار أني إنما بعثتهم؛ ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم))[١]. وكان قد أرسل إلى الكوفة عبدالله بن مسعود[٢]، وإلى البصرة أبا موسى الأشعري[٣]، وإلى الشام معاذ بن جبل وأبا الدرداء وعبادة بن الصامت[٤]. فكان هؤلاء الصحابة يعلمون الناس قراءة القرآن، وأسس هؤلاء المعلمون نواة مدارس الإقراء في الأمصار التي نبتت الدراسات اللغوية العربية على يد روادها الأوائل.

٢- الكتابة العربية:

كان الجهد الكبير في تعليم قراءة القرآن يواكبه جهد مماثل في كتابته، فبعد أن كتب مفرقاً في عصر النبوة، جمع في صحف منظمة في خلافة عثمان، وأرسلت إلى الأمصار[٥]. ولم يقتصر استخدام الكتابة العربية في عصر الخلافة الراشدة على تدوين القرآن في المصاحف، فقد استخدمت في مراسلات الخليفة مع أمراء الأمصار، وقادة الجيوش، وفي دواوين الدولة، وتوزيع العطاء، وأمور الناس ومعاملاتهم، على نحو كان يزداد اتساعاً ورسوخاً مع مرور السنين، حتى صار لتعليم الكتابة دور خاصة.[٦]

إن حركة تعليم الكتابة واستخدامها يقتضيان نوعاً من التحليل اللغوي الذي يؤدي إلى التفكير في أصوات اللغة، ومقدار وفاء رموز الكتابة بها، وهذا يعني التفكير في النظام الذي تقوم عليه اللغة، ومحاولة اكتشافه، وتيسير معرفته وفهمه.

---

(١) الطبري، ((تاريخ الرسل والملوك)): (٢٠٤/٤).

(٢) ابن سعد، ((الطبقات الكبرى)): (٧/٦)، وابن مجاهد، ((كتاب السبعة)): (ص٦٦).

(٣) ابن سعد، ((الطبقات الكبرى)): (٣٤٥/٢).

(٤) المصدر نفسه: (٣٥٧/٢).

(٥) البخاري، ((الجامع الصحيح)): (٨٩/٦ و ٢٢٥)، وابن النديم، ((الفهرست)): (ص ٢٧).

(٦) ابن سعد، ((الطبقات الكبرى)): (٥٥٨/٣) و (١٨٠/٤).

٣- مكافحة اللحن:

كان ظهور اللحن سبباً لنشاط لغوي للحد منه وللقضاء عليه، وأسهم في ذلك الجهد الخلفاء الراشدين والعلماء على السواء، ويروى أن أبا بكر الصديق كان قد قال: «لأن اقرأ وأُسقِط أحب إلي من أن اقرأ وألحن»[١]. وكان عمر بن الخطاب أكثر الخلفاء الراشدين استنكاراً للحن، وحدة في مواجهة من يقع منهم، حتى إنه يأمر بضربهم[٢]. وصار التأديب بالضرب عقوبة مقررة لمن يقع منهم اللحن، فهذا علي بن أبي طالب يضرب الحسن والحسين على اللحن[٣]، وكان عبدالله بن عمر يضرب أولاده على اللحن، ولا يضربهم على الخطأ[٤]، وكذلك كان ابن عباس يضرب أولاده على اللحن.[٥]

ولم تقتصر مكافحة اللحن على الخطأ المحض، بل نجد أن العدول عن الأفصح لقي معارضة أيضاً، فقد روي: أن عمر بن الخطاب كتب إلى عبدالله بن مسعود، بعد أن أرسله إلى الكوفة؛ لتعليم الناس هناك قراءة القرآن، فبلغه أنه يقرئ بلغة قبيلته هذيل: «أما بعد، فإن الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش، فإذا أتاك كتابي هذا فاقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل».[٦]

وكل ذلك النشاط في مكافحة اللحن يقتضي قدراً غير قليل من المعرفة اللغوية التي تميز الخطأ من الصواب، وهذه المعرفة وإن كانت شفهية في جملتها، لكنها تعد أساساً للخطوات اللاحقة في تدوين علم العربية الذي أخذت تتحدد ملامحه منذ عصر الخلافة الراشدة.

---

(١) الحلبي، «مراتب النحويين»: (ص ٢٣)، وعبد الواحد بن عمر، «أخبار النحويين»: (ص ٢٥).

(٢) أبو بكر الأنباري، «الأضداد»: (ص٢٤٤)، والحلبي، «مراتب النحويين»: (ص ٢٣).

(٣) الخطيب البغدادي، «الجامع لأخلاق الراوي»: (٢/٨٥).

(٤) أبو بكر الأنباري، «الأضداد»: (ص ٢٤٤)، وله «إيضاح الوقف»: (١/٢٤).

(٥) عبد الواحد بن عمر، «أخبار النحويين»: (ص ٢٦).

(٦) أبو بكر الأنباري، «إيضاح الوقف»: (١/١٣)، وأبو شامة، «المرشد الوجيز»: (ص ١٠١).

٤- تعليم العربية:

إن إنكار اللحن كان يواكبه جهد في تعليم النطق الصحيح، وإن كانت تفاصيل ذلك الجهد غير معروفة لنا اليوم، لكن الروايات التي نقلتها المصادر تشير إلى أنه كان كبيراً، وأنه كان ينبني على معرفة واضحة بخصائص البنية اللغوية العربية.

فمهما نقل من المعلمين الأوائل لقراءة القرآن قول أُبي بن كعب: ((تعلموا اللحن في القرآن كما تتعلمونه))[١]. وقول ابن مسعود: ((أعرِبوا القرآن فإنه عربي)).[٢]

وأكبر حملة لتعليم العربية في عصر الخلافة الراشدة جرت في خلافة عمر بن الخطاب ، حيث يجد المتتبع لهذا الموضوع في المصادر القديمة صوراً متعددة لتلك الحملة، وهي تكشف جوانب مهمة من تاريخ علم العربية، لم يتتبه لها الباحثون المحدثون ولم يعتنوا بها. ويمكن أن نلخص مظاهر تلك الحملة على شكل نقاط مختصرة على النحو الآتي:

١- قول عمر: ((تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه)).[٣]

٢- قوله: ((تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيده في المروءة)).[٤]

٣- أمر عمر بن الخطاب ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة.[٥]

٤- عن أبي عثمان النهدي قال: ((جاءنا كتاب عمر، ونحن بأذربيجان، وكان فيه أن تعلموا العربية)).[٦]

---

(١) أبو بكر الأنباري، ((إيضاح الوقف)): (١/١٣)، وعبد الواحد بن عمر، ((أخبار النحويين)): (ص٢٦)..

(٢) أبو عبيد، ((فضائل القرآن)): (٢٣)ظ، وأبو بكر الأنباري، ((إيضاح الوقف)): (١/٣٥).

(٣) أبو عبيد، ((فضائل القرآن)): (٢٣) ظ، وأبو بكر الأنباري، ((إيضاح الوقف)): (١/٣٥).

(٤) أبو بكر الأنباري، ((إيضاح الوقف)): (١/٣١)، وعبد الواحد بن عمر، ((أخبار النحويين)): (ص ٢٤)، والزبيدي، ((طبقات النحويين واللغويين)): (ص ١٣).

(٥) أبو بكر الأنباري، ((إيضاح الوقف)): (١/٣٩).

(٦) الزبيدي، ((طبقات النحويين واللغويين)): (ص ١٢)، والعطار، ((التمهيد)): (٩٩ و ٠).

٥- كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري أن: ((مر من قبلك بتعلم العربية)).[١]

٦- سئل الحسن البصري عن تعلم العربية، أو عن المصحف ينقط بالعربية، فقال للسائل: ((أوما بلغك كتاب عمر بن الخطاب أن: تعلموا العربية)).[٢]

٧- وسمع عمر رجلاً يتكلم في الطواف بالفارسية، فأخذه بعضده، وقال: ((ابتغ إلى العربية سبيلاً))[٣]. وعن عطاء قال: ((رأى عمر بن الخطاب رجلين، وهما يتراطنان في الطواف، فعلاهما بالدِّرَّة، وقال: لا أم لكما، ابتغيا إلى العربية سبيلاً)).[٤]

٨- روى الدارمي عن مورق العجلي قال: ((قال عمر بن الخطاب: تعلموا الفرائض واللحن والسنن كما تعلموا القرآن))[٥]. قال أبو بكرالأنباري: ((وحدث يزيد بن هارون بهذا الحديث، فقيل له: ما اللحن؟ قال: النحو)).[٦]

إن هذه النصوص، ومعظمها في روايات مسندة، لا يمكن أن يغض الباحث النظر عنها، أو أن يمر بها مروراً سريعاً، ولابد من محاولة استكشاف دلالاتها حول نشأة النحو العربي، وبدء الدراسات العربية، وسوف نحاول ذلك في المبحث اللاحق، بعد أن نعرض لرواية نادرة ذات دلالة كبيرة فيما نحن بصدده.

ثالثاً: رواية بريدة بن الحصيب الأسلمي:

إنها رواية من الروايات النادرة الغريبة التي لم يطلع عليها الباحثون في تاريخ النحو العربي، وكنت قد اطلعت عليها أول مرة في مخطوطة كتاب ((التمهيد في معرفة التجويد))

---

(١) أبو بكر الأنباري، ((إيضاح الوقف)): (٣١/١)، والأندرابي، ((الإيضاح)): (٦١) ظ.

(٢) ابن أبي داود، ((كتاب المصاحف)): (ص ١٤٢).

(٣) عبد الواحد بن عمر، ((أخبار النحويين)): (ص ٢٥).

(٤) العطار، ((التمهيد)): (١٠٠ و ٠).

(٥) سنن الدارمي: (٣٤١/٢)، وأخرجه أيضاً: أبو عبيد في ((فضائل القرآن)): (٢٣)ظ، وأبو بكر الأنباري، ((إيضاح الوقف)): (١٥/١)، والأضداد: (ص٢٣٩).

(٦) إيضاح الوقف: (١٥/١)، والأضداد: (ص ٢٤٠).

لأبي العلاء العطار، قبل ما يقرب من خمسة عشر عاماً، ثم عثرت عليها مخطوطة كتاب «الإيضاح في القراءات» للأندرابي، واطلعت عليها أخيراً في كتاب «الجامع لأخلاق الراوي» للخطيب البغدادي. وقد أخرج مؤلفو الكتب الثلاثة هذه الرواية كل بإسناده، وتلتقي الأسانيد الثلاثة عند محمد بن الفضيل، ثم تتفق بعد ذلك في أسماء رجال السند، وهذا نص الرواية كما نقلها الخطيب البغدادي:

«أنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله الحافظ بأصبهان، حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا حبان بن إسحاق البلخي حدثنا محمد بن الفضيل، حدثنا العوام بن حوشب، حدثنا الخزرج بن أشيم، عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه قال: كانوا يؤمرون، أو كنا نؤمر، أن نتعلم القرآن، ثم السنة، ثم الفرائض، ثم العربية: الحروف الثلاثة، قال: قلنا: وما الحروف الثلاثة؟ قال: الجر والرفع والنصب».[1]

ويمكن أن ندرس هذه الرواية من ثلاث نواح: من ناحية الإسناد، ومن ناحية المتن، ومن ناحية تحديد العصر الذي وقع فيه الأمر بالتعلم:

١- ناحية الإسناد:

تلتقي أسانيد المصادر الثلاثة التي أخرجت الرواية عند (محمد بن الفضيل)، وسوف نتوقف عنده في تتبع رجال السند، وهم:

١- بُريدة بن الحُصَيب الأسلمي، صاحب رسول الله ﷺ أسلم عام الهجرة، وقدم المدينة وسكنها، إلى أن مُصِّرت البصرة، فتحول إليها، ثم خرج منها غازياً إلى خراسان في خلافة عثمان بن عفان، ولم يزل بها، حتى مات في مرو في خلافة يزيد بن معاوية، سنة (٦٢هـ).[2]

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي: (٢/٨٢)، والأندرابي، «الإيضاح»: (٦١)ظ، والعطار، «التمهيد»: (١٠٣ و ٠).

(٢) ابن سعد، «الطبقات الكبرى»: (٨/٧)، والطبراني، «المعجم الكبير»: (٢/١٩)، وابن عبد البر، «الاستيعاب»: (١/١٨٥).

٢- عبدالله بن بُريدة، قاضي مرو، ولد لثلاث سنين خلون من خلافة عمر، وتوفي سنة (١١٥ هـ)، وهو من ثقات التابعين، وثقه يحيى بن معين، وأبو حاتم، والعجلي.[١]

٣- الخزرج بن أشيم.[٢]

٤- العوام بن حوشب، قال ابن سعد: وكان ثقة، مات سنة (١٤٨ هـ). وثقه يحيى بن معين وغيره.[٣]

وجاء في رواية الأندرابي والعطار (أصرم بن حوشب) مكان (العوام بن حوشب). وأصرم هذا متروك الحديث.[٤]

٥- محمد بن الفضيل، سماه الأندرابي: محمد بن فضيل العابد. وذكر ابن حبان في كتاب الثقات: محمد بن الفضيل بن العباس بن الحجاج البلخي العابد. وقال: وكان شيخاً متقناً.[٥]

ورجال السند تغلب عليهم الثقة، وإذا أزيلت جهالتنا بالخزرج بن أشيم استقام سند الرواية، إن شاء الله.

٢- ناحية المتن:

قول بُريدة: «كانوا يؤمرون، أو كنا نؤمر» يمكن أن يفهم مما جاء في قول الخطيب البغدادي: «قال أكثر أهل العلم يجب أن يحمل قول الصحابي: «أمرنا بكذا» على أنه أمر

---

(١) ابن سعد، «الطبقات»: (٢٢١/٧)، وابن أبي حاتم، «الجرح والتعديل»: (١٣/٥)، والذهبي، «ميزان الاعتدال»: (٣٩٦/٢)، والسيوطي، «طبقات الحفاظ»: (ص ٤٠).

(٢) لم أقف على ترجمة له.

(٣) ابن سعد، «الطبقات الكبرى»: (٣١١/٧)، وابن أبي حاتم، «الجرح والتعديل»: (٢٢/٧).

(٤) البخاري، «الضعفاء»: (ص ٢١)، والنسائي، «الضعفاء والمتروكين»: (ص ٢٢)، وابن أبي حاتم، «الجرح والتعديل»: (٣٣٦/٢).

(٥) كتاب الثقات: (١٢٣/٩).

الله ورسوله، وقال فريق منهم: يجب الوقف في ذلك؛ لأنه لايؤمن أن يعني بذلك أمر الأئمة والعلماء، كما أنه يعني أمر رسول الله ﷺ والقول الأول أولى بالصواب»[1]، ويترجح لدى حمل الأمر في رواية بريدة على أمر الأئمة والعلماء. وقوله: «أن تتعلم القرآن، ثم السنة، ثم الفرائض»، يقدر أمراً كان قد حرص عليه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون من بعده، حين أُمروا بقراءة القرآن والتفقه في الدين، أما «الفرائض» فتحتمل أمرين: الأول حدود الله التي أمر بها ونهى عنها والثاني: المواريث.[2]

أما قوله «ثم العربية» فقد جاء مفسراً في الرواية ذاتها، وسوف نعود إلى هذه القضية في المبحث الآتي؛ لنبين دلالاتها على نشأة النحو العربي. ومضمون الرواية يتفق مع ما ورد في الروايات الأخرى المنقولة من تلك الحقبة، لا سيما الرواية التي تشير إلى قول عمر بن الخطاب: «تعلموا الفرائض واللحن والسنن، كما تعملوا القرآن».

٣- تحديد العصر الذي وقع فيه الأمر بالتعلم:

إن الأمر بتعلم العربية لم يبرز إلا في خلافة عمر بن الخطاب، كما يتضح من مجموعة النصوص التي نقلناها في الفترة الخاصة بتعليم العربية. ولما كان بُريدة بن الحصيب قد أقام بالبصرة مدة خلافة عمر، وكان كتاب عمر قد جاء إلى أهل البصرة إن تعلموا العربية، فإن من الموافق أن يكون الوقت الذي جاء فيه الأمر بتعلم العربية في رواية بُريدة هو في خلافة عمر. وإن كانت حكاية بريدة له قد وقعت في زمن لاحق، وفي وقت مكان آخر.

المبحث الثالث: نشأة النحو العربي وعلاقة أبي الأسود الدؤلي بها:

إن الحديث عن نشأة النحو تعني الوقوف عند بدء الكلام عن الخطأ في النطق، أو ما يسمى باللحن، ومحاولة تحديد الوجه الصحيح لذلك النطق، والذي يهمنا في هذا المقام هو

---

(١) الكفاية: (ص ٤٢١).

(٢) ابن منظور، «لسان العرب»: (٩/٦٧)، (فرض).

تحديد موقع النشاط اللغوي في عصر الخلافة الراشدة في نشأة النحو، وتحديد علاقة أبي الأسود ودوره في تلك النشأة:

أولاً: نشأة النحو العربي:

إن تحليل الروايات المتضمنة لجوانب من المعرفة اللغوية التي تتصل باللحن ومكافحته، وبتعليم العربية في عصر الخلافة الراشدة يقفنا عند بدء التفكير اللغوي العربي المنظم، مما يمكن أن يعده الباحث بداية حقيقة للنحو العربي، وإن كانت بداية يسيرة، وشفهية في الغالب.

إن التنبيه للحن، وهو خطأ في الكلام، يقتضي نوعاً من التفكير اللغوي الذي يميز بين الخطأ والصواب، ولو تأملنا في الرواية التي تتحدث عن أولئك النفر الذين كانوا يرمون السهام، ومر بهم عمر بن الخطاب، فلم يعجبه رميهم، وقال لهم: «بئس مارميتم»، فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا قوم (متعلمين)، وقال عمر: «والله لذنبكم في لحنكم أشد عليَّ من ذنبكم في رميكم»[1]، نجد أن إدراك الخطأ في قولهم (متعلمين) نوع من التفكير النحوي، ومثل هذا يمكن أن يقال في الروايات التي تذكر: أن علياً وابن عمر وابن عباس كانوا يضربون أولادهم على اللحن..

وإلى جانب ترصد اللحن ومكافحته، كانت هناك جهود تحدثت عنها الروايات التي نقلناها من قبل، وهي تشير إلى (تعليم العربية)، وهذه قضية تتجاوز الدلالة على تعليم لغة العرب التي قد تكون مقصودة في مثل قول عمر بن الخطاب للرجلين اللذين كان يتراطنان في الطواف: «ابتغيا إلى العربية سبيلاً»، ولكن كلمة (العربية) تمثل معنى آخر في مثل قول عمر: تعلموا العربية، وهو يخاطب قوماً من العرب. وتحديد هذا المعنى مفيد في توضيح جانب من نشأة النحو العربي.

وإذا اعتمدنا تفسير الصحابي بريدة بن الحصيب للكلمة من أنها تعني **الحروف** الثلاثة:

---

(١) أبو بكر الأنباري، «الأضداد»: (ص ٢٤٤)، والخطيب البغدادي، «الجامع لأخلاق الراوي»: (٢/١).

الجر والرفع والنصب، في فهم النصوص التي يرد فيها الأمر بتعلم العربية، وقفنا بذلك على نشاط لغوي، يمثل درساً نحوياً عملياً لا يقبل الشك. إذ أن الكلمة يراد بها تلك النصوص، الإعراب الذي يستدل عليه بالحركات الثلاث في آخر الكلمات العربية، ويكون معنى قول عمر: «تعلموا العربية»: تعلموا الإعراب الذي يقتضي معرفة مواقع الكلمات في الجمل، لتحديد نوع الحركد التي تنطق في آخر الكلمة، وسبب التأكيد على حركات الإعراب هو أن الاختلال واللحن ظهر أولاً في حركات الإعراب[1]. فلفت نظر العلماء وأولي الأمر، فنبهوا الناس إليه، وأرشدوهم إلى اجتنابه.

أما إطلاق كلمة (النحو) على تلك الجهود، فيبدو أنها جاءت في وقت لا حق، ويرى بعض الباحثين المحدثين أن أبا الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) ربما لم يكن يعرف اسم (النحو)[2]. ويقدر آخرون أنه ظهر في عصر الطبقة التي عاش فيها تلامذته[3]. ومهما يكن الأمر فإن ظهور مصطلح النحو لم يتأخر كثيراً عن الحقبة التي كان يستخدم فيها مصطلح العربية.

ولعلماء اللغة العربية الأوائل والباحثين والمحدثين كلام في تفسير تسمية هذا العمل بالنحو، لا نجد ضرورة للوقوف عنده هنا، لأنه لا يقدم إضافة في الموضوع الذي نحن بصدده.

ثانياً: علاقة أبي الأسود الدؤلي بنشأة النحو:

إن النشأة اللغوي المتنوع المظاهر الذي وقفنا على جوانب منه في المبحث السابق يقتضي من الباحثين في تاريخ النحو العربي أن يعيدوا النظر في أولية النحو العربي، ودور أبي الأسود في وضع النحو، وأن يبحثوا عن الأصول التي استمد منها معارفه اللغوية وأفكاره.

---

(١) الحلبي، «مراتب النحويين»: (ص٢٣).
(٢) أحمد أمين، «ضحى الإسلام»: (٢٨٧).
(٣) محمد الطنطاوي، «نشأة النحو»: (ص ٢٣).

ونحن نستخلص من مجموع الروايات: أن نشأة النحو العربي مرتبطة بظهور الإسلام وقراءة القرآن، وأن المعرفة اللغوية المنظمة كانت تزداد كلما تقدمت السنين، فاننا نعد ما قام به أبوالأسود وتلامذته مرحلة جديدة في عالم العربية، انتقل فيها من مرحلة المعرفة اللغوية الشفهية العامة إلى مرحلة التدوين والتفصيل.

ويمكن أن نلخص ما قام به ابوالأسود الدؤلي في أمرين:

الأول: تدوين الملاحظات التي استخلصها علماء الطبقة الأولى، وهم الصحابة ﷺ ويمكن ان يفسر القول: بأن المؤرخين الأوائل أن أبا الأسود الدؤلي، أو من وضع العربية بأنها أول من دون الملاحظات المتعلقة بقواعد اللغة، ولا يخفى على القارئ أن القول بأن أبا الأسود هو أول من وضع العربية، أو دون النحو لا يعني أنه دون هذا العمل بكل تفصيلاته، وإنما وضع أصولاً عامة تتعلق بحركات الإعراب.

الثاني: اختراع علامات الحركات، وهو المسمى فقط أبي الأسود، الذي طبّقه في المصاحف أولاً، بعد أن كانت الكتابة العربية تفتقر إلى علامات كتابية تمثل الحركات، وهو عمل يرتبط بادراك نظام الجملة العربية، وتغير حركات الإعراب فيها.

وكان النشاط اللغوي العربي قد بدأ في الحجاز، خاصة في مدينة رسول الله ﷺ ثم انتقل مركز ذلك النشاط إلى العراق بسبب عاملين:

الأول: اهتمام عمر بن الخطاب ﷺ بتعليم أهل العراق، فأرسل علماء الصحابة إلى الكوفة والبصرة، وكانت رسائل ترد عليهم وتأمرهم بتعلم العربية، وقراءة القرآن بالفصحى.

الثاني: انتقال مركز الخلافة إلى العراق في آخر عصر الخلافة الراشدة، وظهور طبقة من العلماء من تلامذة الصحابة، وفي مقدمتهم أبو الأسود الدؤلي ذوالمواهب المتعددة.

وقد واصل تلامذة أبي الأسود عملهم في تكميل ما دوّنه أستاذهم «وكان ممن أخذ ذلك عنه يحيى بن يَعْمر...، وأخذ ذلك عنه أيضاً ميمون الأقرن، وعنبة الفيل، نصر بن عاصم الليثي، وغيرهم، ثم كان من بعدهم عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي، فكان

أول من بعج -أي سنّ- النحو، ومدَّ القياس والعلل...»[1]، «ثم واصل ما أصلوه من لك التالون لهم، والآخذون عنهم، فكان لكل واحد منهم من الفضل بحسب ما بسط من القول، ومد من القياس، وفتق من المعاني، وأوضح من الدلائل، وبين من العلل»[2].

أن ماقام به أبو الأسود الدؤلي من نقط المصحف بعلامات الحركات، ووضع باب الفاعل والمفعول والمضاف، يبدو امتداداً طبيعياً لما لاحظناه من حرص على تعلم العربية في خلافة عمر بن الخطاب، الذي بينت رواية بن الحصيب حقيقته المتمثلة بتعلم الحروف الثلاثة: الجر والرفع والنصب، وهي علامات الإعراب، حيث نجد في الروايات القديمة ما يشير إلى تسمية حركات الإعراب حروفاً[3].

وتجد في رواية نقلها الحلبي ما يربط بين رواية بريدة بن الحصيب، وما قام به أبو الأسود، وهي قوله: «وكان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي ﷺ لأنه سمع لحناً، فقال لأبي الأسود: اجعل الناس حروفا، وأشار إلى الرفع والنصب والجر»[4]. فنجد أن حروف أبي الأسود المشار إليها في هذه الرواية: هي الحروف الثلاثة في رواية بريدة، ويتأكد أن ما قام به أبو الأسود هو امتداد لنشاط سابق، استطاع هو وتلامذته من بعده أن يخطوا به خطوات إلى الأمام، حتى استوى علماً ناضجاً بعد جيل أو جيلين من العلماء.

إن مما تجدر الإشارة إليه في خاتمة هذا البحث هو التأكيد على النشأة العربية الخالصة لعلم النحو العربي، الذي نبت في أرض الحجاز ونما وترعرع في العراق، وبدأ بملاحظة ما طرأ على نطق الفصحاء من إنحراف، وتطور إلى تبويب الملاحظات المتعلقة بحركات الإعراب؛ وذلك بوضع باب الفاعل والمفعول والمضاف، ثم انتهى إلى تأليف الكتب التي فصلت كل ما يتصل بقواعد اللغة.

---

(١) محمد بن سلام الجمحي، ((طبقات الشعراء)): (ص٥).

(٢) الزبيدي، ((طبقات النحويين واللغويين)): (ص١١).

(٣) ابن جني، ((سر صناعة الإعراب)): (١٩/١).

(٤) مراتب النحويين: (ص٢٤).

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن ما انتهى إليه البحث من أن نشأة النحو العربي ترجع إلى حقبة أقدم من العصر الذي برزت فيه جهود أبي الأسود الدؤلي، يدعو الباحثين في نشأة النحو إلى التأني في إطلاق الأحكام، وإثارة الشكوك حول الروايات التي تتحدث عن دور أبي الأسود في وضع النحو العربي، ما دامت الروايات تؤكد على أن علماء الصحابة كان يعلمون العربية، ويعتنون بالحروف الثلاثة: الرفع والنصب والجر، التي عليها مدار الكلام العربي، وبناء الجملة العربية. ولا غرابة إذا جاء أبو الأسود بعدئذ فاخترع علامات للحركات (الحروف الثلاثة)، ودوَّن ملاحظاته حول الفاعل والمفعول والمضاف، وما يتبع ذلك من تغير حركات الإعراب، أو الحروف الثلاثة حسب التعبير القديم.

